معروف الرصافي

مثلما ينبت الورد في الادغال والزنبق بين الاشواك . وكما تفوح رائحة الند ويتنشر عبير الزهر . هكذا نشأ الرصافي في بغداد . وفاح عرف طيبه في العراق وانتشر ارج فضله في العالم العربي الراقي في سوريا ومصر وكل بلاد يفهم المستنيرون فيها لغة القرآن * ومثلما يتهافت النحل على الزهر لمص الاري وجني العسل . وكما يتسابق المؤمنون للتبرك بالاولياء . هكذا كان شعراء بيروت وكتابها وعلماؤها وبعض وجهائها وادباؤها يتهافتون على نزل قصر البحر حيث ينزل الضيف الكريم نابغة العراق وشاعرها الرصافي الشهير ويتسابقون الى زيارته والتعرف اليه افراداً وجموعاً

ولا غرو اذا اهتم المستنيرون بالرجل هذا الاهتمام وهو ذو نفس كبيرة كريمة شعرت بالبؤس الادبي فعملت على تخفيفه وعرفت الحق الاجتماعي فجهرت به لاتخشى لومة لائم ولا ترهب استبداد ظالم وادركت مفاسد الاخلاق فنادت باصلاحها بملء القوى وانفت من الجور فناصبته العداء وجاءت ببديع النظم وصفاً وتخيلاً ونصحاً مبيناً . فما انتشرت قصائدها في المقتبس والشورى العثمانية وغيرهما من المجلات والجرائد العربية الا وتناقلتها الافواه ولهجت بها الالسن فذاع صيت الشاعر وعد من الطبقة الاولى بين الشعراء المعاصرين قبل ان يبلغ من عمره الثلاثين

قرأنا للشاعر ثلاثين قصيدة تتألف من نحو الف وخمسمئة بيتاً من الشعر الجيد الموافق للعصر بمواضيعه وغاياته فاعجبنا اعجاب الجميع به وغبطنا اماً ولدته وارضاً انشأته لا سيما بعد ان تأكدنا ان الاسم والمسمى لشخص واحد وان البلاد لاتخلو من نوابغ كبار النفوس يجرأون على النداء بالحق ولو تعرضوا لاخطار الحرق والغرق والشنق . لاننا كنا من المتسائلين عنه غير المصدقين بان اسمه اسم رجل معروف لان ما انفطرت عليه نفسه من الانفة والحرية والجرأة والاستقلال لم يكن

له مجال للظهور تحت الوية المستبدين ايام عبد الحميد الا اذا تمكن اليأس واشتد البؤس ولم يبق مناص من الاستهداف مما لم نرَه الا في النادرين من النوابغ والعظماء وما كان اندر النابغين في الشرق الآمنين على نفوسهم من لؤم الظالمين

وما لبثنا ان تأكدنا الخبر بالخبر لما جاء الرصافي بيروت وانشدنا بعض ما لم يكن نشره بعد من شعره في الاخلاق والاجتماع فضلاً عما رأيناه به من الالمام باحوال بلاده اخلاقياً واجتماعياً وتلهبه غيرة عليها وتألمه تأثراً من البؤس المخيم على تلك الارجاء

زار الشاعر بيروت ثلاث مرات في ذهابه الى الاستانة من عشرة اشهر وفي رجوعه منها من اربعة وفي عوده اليها في هذا الشهر واتحف جرائدها بقصائده البديعة التي نشرنا منها في اجزاء الحسناء التربية والامهات ومن سلانيك الى الاستانة وام اليتيم وسننشر له ايضاً اليتيم في العيد والمطلقة وغيرهما مما يتحفنا به . وكفاه بهذه القصائد دلالة على اهتمامه بشؤون المرأة اهتماماً لم يسبقه اليه من اخواننا المسلمين الا المصلح العظيم قاسم بك امين ومن نحا منحاه . وحبيبه هذا الاهتمام بالجنس الحسن لتخصه الحسناء بهذه السطور عدا عما يستحقه فضله ونبوغه

وقد عرف الناس قدر الرصافي فاحترموه واحبوه قبل ان يروه ويحادثوه . وبمناسبة مغادرته بيروت في الاسبوع الماضي دعي حضرة الوجيه الفاضل محمد افندي بيهم صحافي المدينة وكتابها الى الاحتفاء بوداع الشاعر في صرحه تجاه المناره فكان احتفالاً لائقاً بمقام المحتفى به ومبرهناً فضل صاحب الدعوة وغيرته على العلم والادب

المرأة

نظم هذا المعنى وديع افندي الخوري قبل ان ينظمه اديب بك اسحق

انما المرأة مرآة غدت ينظر الانسان فيها فعله
ان ملتون رأى فيها ابها وسليمان رآها مثله